1430هـ/2009م

أبو بكر الشبلي: دراسة في أصول تصوفه

أ.م.د. خليل إبراهيم جاسم* و أ.م.د. موفق سالم نوري**

تاريخ التقديم: 2004/1/3 تاريخ القبول: 2004/2/12

المقدمـــــة

اتسمت الحضارة الإسلامية بأصالة التكوين والتطور. وتشكل ظاهرة التصوف بعداً حيوياً في ذلك التكوين الحضاري. ومن هنا، تظهر أهمية دراسة تراجم الصوفية بوصفهم الأعمدة الإيمانية في نشوء التصوف الإسلامي. ولعل الصوفي أبو بكر الشبلي يعد احد تلك الأعمدة في ذلك البناء الإيماني. وعليه، فقد تناول البحث دراسة أصول تصوفه، وبغية تحقيق ذلك فقد اشتمل البحث على أربعة محاور.

* قسم الاجتماعيات/ كلية المعلمين/ جامعة الموصل.
** قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

تناول المحور الأول، سيرة الشبلي وتكوينه الصوفي، وذلك من خلال اكتسابه الفكري لعلوم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، مما ساعد في تشكيل الأرضية الرصينة في فهمه لمعنى التصوف. كما شكلت بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية في العصر العباسي المكان الأمثل لنمو وتطور وعيه الصوفي، إذ كانت بداية تكوينه الصوفي على يد الصوفي الجنيد البغدادي (ت: 298هـ-910م). وتلازمت صفات الشبلي الفكرية المستندة على الشريعة الإسلامية مع توجهه الصوفي مما جعله علماً بارزاً في مدرسة العراق الصوفية في كيفية فهم وتفسير الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشرفة من خلال حلقات المناظرات التي حرص على مناقشة الآخرين بهدف إقناعهم بسداد الآراء الصوفية المرتكزة على أسس الشريعة الإسلامية.

وتضمن المحور الثاني، أبعاد التصوف في منظور الشبلي، إذ جرى تحديد تلك الأبعاد، والمتمثلة بالتوبة بوصفها أولى الخطوات في التجربة الصوفية، إذ تضمنت التوبة الاعتراف بالخطايا والذنوب مع القصد الحازم بالتخلي عنها من خلال الإنابة إلى (الله تعالى)، ثم الذكر بوصفه احد أهم أبعاد التصوف، والذي لا يقتصر على الذكر باللسان، بل يتعداه إلى القلب وجميع جوارح الإنسان، مما يساعد على انتقال الإنسان إلى مرحلة السمو عن الأشياء الدنيوية التي تنزع إليها النفس البشرية. فضلا عن الزهد الذي يعد جوهر التصوف، لان الزهد بمعناه الحقيقي يجعل الإنسان يتخلى عن مغريات الحياة الدنيا والتوجه إلى الآخرة. ولتحقيق ذلك، يرى الشبلي، ان ذلك يمكن الاستشعار به من خلال ظاهرة المحبة في (الله ولله تعالى)، وعندها تتقرب روح الصوفي من الفيوضات الربانية المباركة.

وتطرق المحور الثالث إلى التصوف والتوحيد في فكر الشبلي، إذ يعد التوحيد احد أهم الأبعاد الفاعلة في تجربة الشبلي الصوفية، لان إدراكه لمعنى الاحدية (لله تعالى) فتحت أمام روحه أفاقاً إيمانية مطلقة من استحضاره الدائم للواحد الأحد في قلبه، مما ساعده في توصيف معنى التوحيد بمدى غير متناهي إلى الحد الذي جعل من حبه (لله تعالى) ديمومة مباركة أدت به أحيانا إلى التعبير عنها بأسلوب صوفي قد لا يكون متعارفاً عليه، وهذا ما يعرف في الأدب الصوفي بالشطحات الصوفية.

وتنازل المحور الرابع، حقيقة شطحات الشبلي، والتي كانت موضع نقاش موسع، وذلك لان الشبلي كان ينطق بكلمات في حالة وجده غير ما كان ينطق في حالة صحوة، ولكنه في كلا الحالتين لا يخرج عن محبته (لله تعالى). ومن هنا، تظهر أهمية دراسة هذه الشخصية ودورها في التصوف الإسلامي.

المحور الأول: سيرته وتكوينه الصوفي

هو أبو بكر دلف بن جحدر، وقيل دلف بن جعفر، وقيل اسمه جعفر بن يونس، ولد في بغداد في سنة (247هـ – 861م)[1]. وبدأت أولى مراحل تكوينه الفكري باكتساب علوم اللغة العربية بوصفها الأساس الحيوي لعلوم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. ومن هنا، استطاع فهم علوم الفقه والحديث النبوي الشريف والتي حظيت باهتمامه بشكل واضح، في ذات الوقت الذي كان يشغل فيه منصب الوالي في مدينة (دنباوند) الواقعة في الحدود الشرقية للدولة الإسلامية[2]. ويبدو واضحاً البواكير الأولى في قدرته على الجمع ما بين متطلبات أعماله الدنيوية، والحرص على اكتساب العلوم والمعارف الدينية.

غادر الشبلي وظيفته وتوجه إلى بغداد حاضرة الدولة الإسلامية، ففتحت أمامه آفاق المعرفة والعلم بشكل واسع، إذ ركز على دراسة الفقه الإسلامي على مذهب الإمام مالك (ت: 179هـ – 795م)، مما ساعد في تشكيل المراحل الحيوية في فهمه الأحكام الشرعية بغية ترصين ذاته الإيمانية، وذكر مدى سعيه في اكتساب علوم الفقه والحديث بقوله ((كتبت الحديث عشرين سنة، وجالست الفقهاء عشرين سنة))[3]. ويعطي هذا النص إمكانية التصور على حرصه الواضح في التمكن من فهم العلوم الشرعية التي تعد من أساسيات بناء ذاته الصوفية.

---

(1) السلمي، محمد بن الحسين (ت: 412هـ– 1021م)، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة، القاهرة، 1969، ص213 ؛ ابن خلكان، احمد بن محمد بن أبي بكر (ت: 681هـ –1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبته العيان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، (د: ت)، 183/4.

(2) ياقوت الحموي (ت: 626هـ – 1228م)، معجم البلدان، بيروت، 1955، 374/3 ؛ينظر، الكلباذي، أبو محمد بن إسحاق (ت: 380هـ– 990 م) التعرف لمذهب أهل التصوف، القاهرة، 1969، ص87.

(3) الخطيب البغدادي، احمد بن علي (ت: 463هـ– 1071 م)، تاريخ بغداد، بيروت، (د:ت)، 216/1 ؛ ينظر، الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت: 748هـ–1374م)، سير أعلام النبلاء، بيروت، 1986، 368/15 ؛ محمود أبو الفيض المنوفي: التصوف الإسلامي الخالص، القاهرة، (د:ت) ص 187.

وبلغ الشبلي منزلة مرموقة في الفقه، فقد ((روي ان فقيهاً من أكابر الفقهاء كانت حلقته بجنب حلقة الشبلي في جامع المنصور، وكان يقال لذلك الفقيه (أبو عمران الأشيب)، وكان يتعطل عليهم حلقتهم لكلام الشبلي، فسأل أصحاب أبي عمران يوماً الشبلي عن مسألة المحيض، وقصدوا إخجاله، فذكر مقالات الناس في تلك المسألة والخلاف فيها، فقام أبو عمران وقبّل رأس الشبلي، وقال: يا أبا بكر استفدت في هذه المسألة عشرة مقالات لم اسمعها، وكان عندي من جملة ما قلت ثلاث أقاويل))[1]. وتدل هذه المناظرة على المديات التي بلغها الشبلي في معرفة أبعاد التشريع الإسلامي الحنيف، وعليه، يمكن الاستدلال على مدى تأثيره في النخب الفكرية ذات التأثير الاجتماعي.

كانت بدايات نزوع الشبلي الصوفية على يد الصوفي الجنيد البغدادي (ت: 198هـ – 910 م)، ومن هنا، عزف عن الدنيا وملذاتها بعد مجاهدة عبادية وصولا لتنقية ذاته من شوائبها، فأصبح محباً (لله تعالى)، وعبّر عن ذلك شيخه الجنيد بقوله ((لكل قوم تاج، وتاج هؤلاء القوم (الصوفية) الشبلي، لا تنظروا إلى أبي بكر الشبلي بالعين التي ينظر بعضكم إلى بعض، فانه عين من عيون الله عز وجل))[2].

ويبدو جلياً ان هذه المنزلة التي بلغها الشبلي جاءت من بصيرة إيمانية نفاذة نتج عنها استقراء نقي للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بوصفهما الأصول الرصينة بكل معانيها الإيمانية. وعليه، فقد فهم الشبلي تلك الأصول المباركة التي أضفت أبعادا جديدة في تكوينه الصوفي، إذ نظر في عمق الدلالات في الآيات الكريمة، فهو يعترف بأنه لم يستطيع الانتهاء من دراسته للقرآن الكريم، ومما يدل

(1) القشيري، عبد الكريم بن هوازن (ت: 365هـ– 975 م)، الرسالة القشيرية، القاهرة، 1972، 181/1 ؛ ينظر، إبراهيم هلال: التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة، القاهرة، 1975، ص 213.

(2) الخطيب البغداد ي: تاريخ، 395/14 ؛ ينظر أبو الوفا التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي، القاهرة، 1976، ص321.

على اهتمامه البالغ بمعانيه حينما ((دخل ابن ماجد (فقيه) على الشبلي، فحادثه وسأله عن حاله، فقال: أرجو الخير، تختم في كل يوم بين يدي ختمتين أو ثلاثاً. وقال الشبلي: ايها الشيخ قد ختم في تلك الزاوية عشرة الألف ختمة ان كان فيها شيء قُبل فقد وهبته لك، واني لفي درسه منذ ثلاثة وأربعين سنة ما أنهيت إلا ربع القرآن))[1]. وفي هذا النص دلالة واضحة على عمق المدى الذي حاول الشبلي الوصول إليه في القرب من المفهوم الذي يشعر به ومن خلاله عبوديته المطلقة (لله تعالى)، وذلك لأنه لم يقتصر على قراءة القرآن الكريم، إذ يوضح النص ان الأهمية تكمن في فهم الدلالات الإيمانية في الآيات الكريمة.

وتتضح معالم الرؤية الصوفية في فهمه للقرآن الكريم إلى النقطة التي تقرب الذات الإنسانية من خالقها (تبارك وتعالى)، إذ سأل احدهم الشبلي قائلاً ((ربما يطرق سمعي آية من كتاب الله عز وجل فتحدوني على ترك الأشياء والإعراض عن الدنيا ثم ارجع إلى أحوالي والى الناس. فقال الشبلي: ما اجتذبك إليه عطف منه عليك ولطف، وما رددت إلى نفسك فهو شفقة منه عليك، لأنه لم يصح لك التحري من الحول والقوى في التوجه إليه))[2]. وهنا يشير الشبلي إلى الانتقالة النقية نحو الشعور بمعنى الربوبية عندما يتوجه الإنسان إلى (الله تعالى)، ولكنه بذات الوقت أشار ان الوصول إلى ذلك لا يتحقق إلا برحمة (الله تبارك وتعالى)، وفي ذك إشارة واضحة إلى الضعف البشري أمام القدرة الربانية الرحيمة.

وذهبت روح الشبلي بعيداً في حب (الله تعالى) بالتقرب ودلالة ذلك في ذاته، إذ ذكر احد الزهاد صفة ذلك بقوله ((كنت مع الشبلي في مسجد ليلة من شهر رمضان وهو يصلي خلف إمام أنا بجانبه فقرأ الإمام (وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ)[1] فزعق زعقة قلت طارت روحه وهو يرتعد ويقول: بمثل هذا

---

(1) الاصبهاني، أبو نعيم احمد بن عبد الله (ت: 430هـ– 1038 م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت، 1980، 361/10 ؛ ينظر، رينولد نكلسون: في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة أبو العلا عفيفي، القاهرة، 1956، ص217.

(2) القشيري: الرسالة، 181/1 ؛ ينظر، قاسم غني: تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمة صادق نشأت، القاهرة، 1970، ص78.

(1) سورة الإسراء / الآية 86.

يخاطب الأحباب، وردد ذلك كثيراً))[2]. وهذا الوجد الصوفي الذي انتاب الشبلي يعبر عن شفافية روحه الزاهدة وحبه الشديد (لله تعالى)، لأنه فهم من الآية أبعادا بروحه قبل عقله، والمتمثلة بمدى مكانة الرسول (صلى الله عليه وسلم) عند ربه (عز وجل).

وأخذت رؤية الشبلي الصوفية دورها طور جديد تجسد في طرح أفكاره للكيفية التي ينطق بها عقله مخاطباً ذاته الصوفية في المعنى، ومنها ((ما سئل فيه الشبلي في قوله تعالى(قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)[3]، فقال: إبصار الرؤوس عن محارم الله تعالى)) [4]، وقصد بها تحري المحارم في خلجات النفس الإنسانية إلى جانب الخلجات الحسية. وفي ذات السياق، سئل الشبلي عن قوله تبارك وتعالى "(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)[5]، فقال: لمن كان الله تعالى قلبه[6]. وكذلك فهمه للآية الكريمة "(إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)[7]، قال: هو قلب إبراهيم (عليه السلام)، لأنه كان سالماً من خيانة العهد ومن السخط على المقدور كائناً ما كان"[8]. ولعل نظرة متوازنة لطريقة تفكير وفهم الشبلي لهذه الآيات المباركات يعطي إمكانية التصور إلى بداية ظهور الفيض الروحي للشبلي، ومغادرة العالم الدنيوي الحسي في محاولة للوصول إلى أخلاق الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام أجمعين).

---

(2) القشيري: الرسالة، 182/1 ؛ ينظر، محمد جلال شرف: التصوف الإسلامي ومدارسه، الإسكندرية، 1974، ص223.

(3) سورة النور / الآية 30.

(4) السراج الطوسي، أبو نصر (ت: 378 هـ– 988م)، اللمع، القاهرة، 1960، ص159 – 160.

(5) سورة ق / الآية 37.

(6) الشعراني، عبد الوهاب بن احمد (ت: 940هـ – 1533 م)، الطبقات الكبرى المسمى (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار)، القاهرة، (د:ت)، 90/1.

(7) سورة الشعراء / الآية 89.

(8) الشعراني: الطبقات، 90/1.

كما اعتمد الشبلي الاستنباط الصوفي في فهم وتفسير المعاني والأحاديث النبوية الشريفة "إذ سئل الشبلي عن معنى ما روي في حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم): (جعل رزقي تحت ظل سيفي)، فقال الشبلي: كان سيفه (صلى الله عليه وسلم) التوكل على الله تعالى، وأما ذو الفقار فهو قطعة من حديد ... وسئل عن معنى ما روي في الحديث الشريف (ان النفس إذ أحرزت قوتها اطمأنت)، فقال الشبلي: إذ عرفت من يقوم بقوتها اطمأنت ... وقال في معنى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): (حرام على قلب عليه زبانية من الدنيا ان يجد حلاوة الآخرة)، قال الشبلي: صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ان قال ذلك، وأنا ذا أقول: حرام على قلب عليه زبانية من الآخرة ان يجد حلاوة التوحيد"[1]. فالملاحظ هنا تدرج طريقة فهمه للأحاديث النبوية الشريفة إذ لم نجد هذه الأحاديث في كتب الصحاح، ولذلك أشار الشبلي إلى إمكانية كونها أحاديث يمكن ان تكون منسوبة إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ولعل الخطورة تكمن في طرح الشبلي في الحديث الأخير إذ بدأ يميل إلى اليقين المطلق بذاته عندما يضيف على الحديث النبوي الشريف استنباطه الذاتي، وهذا ما جعله موضع نقد لان معالم شطحاته الصوفية بدأ بالظهور وهذا ما سنشير اليه في المحور الرابع.

أدت مجاهدات الشبلي الصوفية واشراقاته الروحية إلى اتخاذ مواقف حدية من أصحاب السلطة، إذ ((دخل الشبلي دار المرضى ليُعالج فيه فدخل عليه الوزير علي بن عيسى عائداً، فاقبل على الوزير فقال: ما فعل ربك؟ فقال الوزير: في السماء يقضي ويمضي، فقال الشبلي: سألتك عن الرب الذي تعبده لا عن الرب الذي لا تعبده، يريد بذلك الخليفة المقتدر، فقال علي بن عيسى لبعض ناظريه ناظره، فقال الرجل: يا أبا بكر سمعتك تقول في حال صحوتك: كل صدّيق بلا معجزة كذاب، وأنت صدّيق فما معجزتك؟ قال الشبلي: معجزتي ان يعرض خاطري في حال صحوي على خاطري في حال وجدي، فلا يخرج عن موافقة الله تعالى)) [1]. وبذلك يوضح الشبلي بمناظرته ان ينطق عن مفهوم

(1) السراج الطوسي: اللمع، ص 162 – 163.

(1) الاصبهاني: حلية الأولياء، 367/10.

صوفي، إذ يعتبر المعجزة في ان الله تعالى يهب الحق في حالتين الصحو والوجد، فينطق عنه حق في كلتا الحالتين، ومن ناحية أخرى، يتضح موقفه من السلطة بوصفها بعداً دنيوياً لا يمكن الركون اليه، ولذلك كان الشبلي لا يتردد في نقدها.

بلغ الشبلي منزلة رفيعة في تصوفه، إذ وصفه الجنيد البغدادي بقوله للشبلي ((نحن حبرنا هذا العلم (التصوف) تحبيراً ثم خبأناه في السراديب، فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملأ، فقال: أنا أقول وأنا اسمع، فهل في الدارين غيري؟))[2]. ولعل استقراء النص يفضي إلى التصور إلى وصول الشبلي نقطة الانتقال من العالم الحسي إلى عالم الفناء في حب الله (عز وجل)، ولكنه بذات الوقت بدأ ينزع نحو التوحد مع ذاته ليقترب من حافت الشطحات التي برزت معالمها في النص.

توفي أبو بكر الشبلي في سنة (334هـ – 954م)، ودفن في مقبرة الخيزران في بغداد عن عمر ناهز السبع والثمانين عاماً[3].

(2) الكلباذي: التعرف، ص 88 ؛ ينظر، عبد القادر محمود: الفلسفة الصوفية في الإسلام، القاهرة، 1966، ص216.

(3) السلمي: طبقات، ص 214 ؛ ينظر، المناوي، عبد الرؤوف بن علي (ت: 1031هـ– 1622م)، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، القاهرة، (د:ت)، 179/2.

المحور الثاني: أبعاد التصوف في منظور الشبلي

اعتمد الشبلي في تصوره لمعنى التصوف على أبعاد ينبغي تحقيقها وفق مراحل عديدة وصولاً إلى الصورة المثلى للصوفي وكما يلي:

أولاً: التوبة

ان التوبة تثمر الاستقامة إذا صدقت، قال (تبارك وتعالى):(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ)[1]. والاستقامة التي هي ثمرة التوبة النصوح تتضمن الإخلاص، ولن تكون توبة إذا لم يتوافر الإخلاص، ولن يتقبل الله تعالى العمل إذا لم يتوافر الإخلاص، قال (تبارك وتعالى): (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ)[2]. ومن هنا، ظهرت اتجاهات التوبة في فكر الشبلي متمثلة في جدلية سموه الروحي ونوع عبوديته (لله تعالى)، في هذا المجال قال الشبلي ((ما احد يعرف الله، قيل: كيف؟ قال: لو عرفوه لما اشتغلوا بسواه)[3]. فالتوبة في هذا النص لا تتم إلا بمعرفة معنى الربوبية والعبودية، إذ تكمن التوبة ما بين هذين الاتجاهين، وعبر الشبلي عن ذلك بقوله ((ما أحوج الناس إلى السكرة، فقيل: أي سكرة، فقال: سكرة تفنيهم عن ملاحظة أنفسهم وأفعالهم وأحوالهم، والأكوان وما فيها))[4]. وفي ذلك إشارة واضحة إلى حاجة المؤمن للتوبة التي يفهمها الشبلي بترك مغريات الحياة الدنيا.

---

(1) سورة هود / الآية 112.

(2) سورة الزمر / الآية 3.

(3) الواسطي، عبد الرحمن بن عبد المحسن (ت: 774هـ- 1372م) ترياق المحبين في طبقات المشايخ العارفين، القاهرة، 1954، 172/2 ؛ ينظر، قمر كيلاني: في التصوف الإسلامي، بيروت، 1962، ص112.

(4) الخطيب البغدادي: تاريخ، 396/14.

ومن مفاهيم التوبة عند الشبلي في منظوره الصوفي قوله ((ليس يخطر الكون ببالي، وكيف يخطر الكون ببال من عرف المكون))[1]. ويبدو للوهلة الأولى عدم وجود أية إشارة إلى التوبة في النص، ولكن الشبلي يضمن معنى التوبة في كلامه الأنف الذكر من خلال تصوره ان التوبة هي قوام المحبة المستديمة (لله تعالى)، فحب الخالق (تبارك وتعالى) هو بعينه التوبة اليه. ولذلك يبدي الشبلي حزنه على أهل الدنيا بقوله ((مساكين هؤلاء المماليك، نظروا بعيونهم إلى الملكوت المخلوق، ورضوا بجنان المخلوقة، فبقوا معها خالدين فيها. وأما الملوك، فلم يرضوا بها، فنظروا بقلوبهم إلى مالك الملوك، فبقوا معه في مقعد صدق عند مليك مقتدر))[2].

وكان الشبلي يتحرى التوبة في شهر رمضان المبارك ويعبر عن ذلك بقوله ((هذا الشهر عظمه الله، فانا أقوم بتعظيمه))[3]. ويتضح من قول الشبلي مدى إدراكه لعظمة شهر رمضان الذي تقبل به التوبة وتغفر فيه الذنوب. والشبلي بهذا الاتجاه يقتدي برسول اله (صلى الله عليه وسلم)، فإذا كان رمضان ((أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد المئزر))[4].

ثانياً: الذكر

(1) السراج الطوسي: اللمع، ص 164 ؛ ينظر، احمد توفيق: التصوف الإسلامي ، القاهرة، 1970، ص186.

(2) الاصبهاني: حلية، 369/10.

(3) الكلباذي: التعرف، ص 89 ؛ ينظر، محمد مصطفى حلمي: الحياة الروحية في الإسلام، القاهرة، 1945، ص 171.

(4) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: 256هـ- 869م)، صحيح البخاري، بيروت، 1981، 217/2 ؛ الترمذي، محمد بن عيسى (ت: 279هـ- 892م)، سنن الترمذي، بيروت، 1974، 316/3 ؛ ابن حنبل، احمد بن محمد (ت: 264هـ- 877م)، المسند، بيروت، 1983، 113/1.

يعد الذكر من أساسيات البناء الصوفي في شخصيته الشبلي امتثالا لقوله تبارك وتعالى (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا)[5]. وقوله تعالى (فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ)[1]. وقوله تعالى (وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ)[2]. وقوله تعالى (أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ).[3] ومن المؤكد ان هذه الآيات الكريمة كانت حاضرة على الدوام في قلب الشبلي، فعندما سئل عن اقرب أصحابه اليه، من يكون؟ فقال ((الهجم بذكر الله، وأسرعهم مبادرة لمرضاه))[4].

ويعد الشبلي الذكر علاجاً لاضطراب الأنفس والأرواح، إذ يقول بهذا الصدد ((ذكر الله على الصفاء ينسي العبد مرارة البلاء)) [5]. ومع مكانة الذكر عند الشبلي، فانه يقول ((ليس من استأنس بالذكر كمن استأنس بالمذكور)) [6]. وفي هذه الإشارة واضحة لحبه الصوفي النقي (الله تعالى)، إذ يعد الذكر بالكلمات وسيلة نورانية أعطت الشبلي اختصاراً واضحاً للمسافات التي يقطعها العبد المؤمن بغية تذوق حلاوة الإيمان. وبناء على ذلك، فقد لازم الذكر حياة الشبلي حتى وفاته، فعندما سئل ((متى تستريح من الذكر؟ قال: اني لا أستريح إلا إذا دخلت حضرة الشهود، لأنها لا ذكر فيها استغناء عنه بالشهود، لان الذكر إنما هو لغائب))[7]. ويؤكد ذلك بقوله ((ان الذكر إنما يكون مع الحجاب، لأنه دليل، فإذا شهد المدلول فقد سقط الوقف عند الدليل، بل سقط عن شهود الدليل ومروره على الخاطر))[8]. ويستشهد الشبلي في هذه الأفكار الصوفية الوصول إلى الفيوضات

---

(5) سورة آل عمران / الآية 191.
(1) سورة البقرة / الآية 200.
(2) سورة الأعراف / الآية 205.
(3) سورة الرعد / الآية 28.
(4) الاصبهاني: حلية، 365/10.
(5) السراج الطوسي: اللمع، ص165.
(6) الاصبهاني: حلية، 365/10.
(7) القشيري: الرسالة، 183/1.
(8) السراج الطوسي: اللمع، ص 166.

والأنوار الربانية المباركة التي تتحقق بمشيئة (الله تعالى) باستمرار ذكره في كل الأحوال.

ثالثاً: الزهد

أوجز الشبلي رؤيته الصوفية للزهد بقوله ((تحويل القلب من الأشياء إلى رب الأشياء))[1] فهذه الكلمات في إيجازها الدقيق تلخص موقف الشبلي وتصوره لمعنى الزهد الذي يعد تطبيقاً حيا لقوله تبارك وتعالى(لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ)[2]. وطبق الشبلي الزهد بكل مدياته، وقال في هذا الصدد ((خلف ابي ستين ألف دينار سوى الضياع فأنفقت الكل وقعدت مع الفقراء))[3].

ولم يقتصر الشبلي في تصوره للزهد على البعد الذاتي، بل تعداه إلى البعد الاجتماعي، إذ ذكر احد أصحابه ذلك بقول ((خرجت مع الشبلي في أيام القحط نطلب شيئا لصبيانه، فدخل على إنسان فأعطاه دراهم كثيرة، قال: فخرجنا من عنده وكمي ملأى من الدراهم، فكلما لقينا إنسانا من الفقراء أعطاه حتى لم يبق إلا القليل، فقلت له يا سيدي: الصبيان في البيت جياع، فقال لي: ماذا اعمل؟ فبعد الجهد اشتريت شيئاً من الكسب والجزر بما بقي من الدراهم وحملته إلى الصبيان))[4].

وتظهر معالم الزهد بأقوى صورة عند الشبلي في تحريه للحديث النبوي الشريف الذي يحث على الزهد ((قال أبو بكر الشبلي: حدثنا محمد بن مهدي، حدثنا عمر بن أبي سلمى، حدثنا صدقة بن عبد الله، عن طلحة بن يزيد عن أبي فروة الرهاوي، عن عطاء عن أبي سعيد، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

(1) الكلباذي: التعرف، ص 90.
(2) سورة الحديد / الآية 23.
(3) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت: 597هـ– 1200م)، صفة الصفوة، حيدر اباد الدكن، 1954، 258/2.
(4) السراج الطوسي: اللمع، ص 167.

لبلال: الق الله فقيراً، ولا تلقه غنياً. قال يا رسول الله، كيف لي بذلك؟ قال: هو ذلك وإلا فالنار))[5].

يتضح مما استقراء أبعاد الزهد في فكر وتصوف الشبلي الشمولية في التصور والتطبيق معاً وعلى المستويين الذاتي والاجتماعي، ولذلك كان الشبلي موضع استقطاب المريدين في مجال التصوف بشكل خاص والمجتمع بشكل عام.

رابعاً: المحبة

يربط الشبلي ما بين مفهوم المحبة في المنظور الصوفي وبين المجاهدة الروحية، وفي هذا الصدد يقول الشبلي ((من ماتت همته ضعفت محبته)) [1]. ولابد للمحب من الأدب الكامل في القول، فضلا عن السلوك، يقول الشبلي ((الانبساط مع الحق بالقول ترك الأدب))[2]. والمحبة رق للمحبوب، إذ يحدد الشبلي الفرق بين رق العبودية ورق المحبة بقوله ((كم بين عبد إذا صار حراً، وعبداً كلما اعتق ازداد رقا)) [3]. ومن هنا يظهر مفهوم رق المحبة بأسمى صوره في منظور الصدق بقوله ((والإخلاص، وكتمان الحال مع بذل الجهد في المجاهدة، ثم بعد ذلك لا تتواصل للمحبوب إلا بفضله))[4].

ويرتقي الشبلي بنقاء صورة المحبة في توصيفها بقوله ((المحبة كأس لها وهج، ان استقرت في الحواس قتلت، وان سكنت في النفوس أسكرت، فهي سكر في الظاهر، ومحبة في الباطن))[5].

---

(5) السلمي: طبقات، ص215 ؛ ينظر، الخطيب البغدادي: تاريخ، 396/14.

(1) الكلباذي: التعرف، ص 91 ؛ ينظر، محمد علي أبو ريان: أصول الفلسفة الاشراقية، القاهرة، 1959، ص 261.

(2) السلمي: طبقات، ص 216.

(3) سراج الطوسي: اللمع، ص168.

(4) الكلباذي: التعرف، ص 91.

(5) الاصبهاني: حلية، 366/10.

المحور الثالث: التصوف والتوحيد في فكر الشبلي

أقام الشبلي تصوفه على أساس امتثاله للشريعة الإسلامية الحنيفة، فقد كان الشبلي ((يبالغ في تعظيم الشرع المطهر)) [1]. إذ يتصل هذا النزوع اتصالا دقيقاً بالتوحيد وأساسه تنزيه (الله تعالى) عن صفات المخلوقات، ومما يعطي إمكانية الحكم على ان الشبلي من الصوفية الذين حافظوا على تطبيق الشريعة في حتى آخر لحظات حياته ((فعندما سئل جعفر بن نصير، وكان يخدم الشبلي: ما رأيت منه؟ (يعني عند وفاته)، فقال: قال لي: علي درهم مظلمة تصدقت عن صاحبه بألوف، فما على قلبي شغل أعظم منه. ثم قال: وضئني للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد امسك على لسانه، فقبض على يدي وادخلها في لحيته ثم مات. فبكى جعفر وقال: ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة))[2].

وكان الشبلي يفرق بين العلم والحقيقة، فقد سئل عن الفرق بينهما فقال: ((لسان العلم ما تادى إلينا بواسطة، ولسان الحقيقة ماتادى إلينا بلا واسطة. فقيل له: ولسان الحق ما هو؟ قال: ما ليس لخلق اليه طريق)) [3]. ويقصد الشبلي بذلك ان العلم يكتسب الشرعي بالتحصيل والفهم، والحقيقة هي الهدف الذي ترنو اليه النفوس بالمجاهدات والعبادات وصولا إلى التوحيد المطلق (لله تعالى)، والي يشكل مفهوم الحقيقة التي كان الشبلي يسعى إلى رسمها في ذاته الصوفية. وبناء على ذلك، أعطى تصوف الشبلي صورة اشراقية للتوحيد فقد روى عنه انه ((قال لأهل مجلسه يوما: انتم عين القلادة، ينصب لكم منابر من نور، تغبطكم الملائكة، فقال رجل: على أي شيء تغبطنا الملائكة؟ قال: يتحدثون بهذا العلم)) [4]. وبذلك يشير الشبلي إلى ان التصوف يعد أهم الوسائل المعتمدة في فهم معنى التوحيد المطلق

(1) نفس المصدر، 367/10.
(2) ابن الجوزي: صفة، 259/2.
(3) السراج الطوسي: اللمع، ص168.
(4) الاصبهاني: حلية، 368/10.

(لله تعالى)، فقرن غبطة الملائكة بهم، لان الملائكة تحضر المجالس التي يذكر فيها (الله تعالى).

ويعطي الشبلي توصيفاً أوضح لدلالة التوحيد بقوله ((الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق كقوله تعالى (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي)[1]. قطعه عن كل غير، ثم قال تعالى (لَن تَرَانِي)[2]، ومعنى هذا القول ان الصوفي هو الذي يحيا حياته في الله، فيكون في حال وجد متصل أو منقطع))[3].

ويتضح من استقراء الأبعاد الصوفية في فهم الشبلي للتوحيد في النص السابق، ان التوحيد يكمن في اصطفاء (الله تعالى) من عباده ليكونوا أنبياء ورسلا، وعليه فان الشبلي يرى ان آثار الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام أجمعين) يؤدي إلى فهم لمعنى التوحيد، وذلك لان جميع الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام) بعثوا على التوحيد، وجاهدوا بالتوحيد، وجوهر رسالتهم المباركة وقوامها التوحيد النقي الخالص (لله تعالى)، ويعبر الشبلي عن هذه الصورة التوحيدية من خلال هدف التصوف في ((صيانة القلب عن رؤية الغير ولا غير)) [4]. ويقصد بذلك ان قلب الصوفي لا يتسع إلا بذكر الله تعالى وليس أمور وشواغل الدنيا الفانية.

ولعل أسمى صورة طرحها الشبلي على المستوى الصوفي لمعنى التوحيد بقوله لرجل ((أتدري لما لا يصح التوحيد؟: قال: لا، قال: لأنك تطلبه بك)) [5]. فهو هنا يطالب برفع الذات كي لا يرى إلا الله تعالى وحده، لان الشبلي يعتبر الشعور بالذات حائلا دون الشعور بالتوحيد المطلق. وعبر الشبلي عن هذا الجانب

(1) سورة طه / الآية 41.
(2) سورة الأعراف / الآية 143.
(3) الاصبهاني: حلية، 368/10.
(4) السراج الطوسي: اللمع، ص168.
(5) الاصبهاني: حلية، ص369/10.

بقوله ((ان متحابين ركبا بعض البحار، فسقط احدهما في البحر وغرق، فألقى الآخر بنفسه إلى البحر، فغاص الغواصون فأخرجوهما سالمين، فقال الأول صاحبه: أما أنا فقد سقطت في البحر، أنت لم رميت نفسك؟ فقال له: أنا غائب بك عن نفسي، توهمت أني أنت))[1]. وفي هذا المثال الذي ذكره الشبلي، فانه يستهدف الكيفية التي أراد بها إيضاح صورة حب الصوفي (لله تعالى)، وقال في ذات الموضوع عندما سأله رجل ((مال لي أراك قلقاً، أليس هو معك وأنت معه، فقال الشبلي لو كنت أنا معه فإنني، ولكني محو فيما هو، فليس مني شيء، ولا بي شيء، ولا عني شيء، والكل منه وبه)) [2]. وبهذا يوضح الشبلي التوحيد الخالص، فكل الأمور والمقادير بيد (الله تبارك وتعالى) فمصدر قلق الشبلي يتركز في محبته لخالقه تبارك وتعالى، تلك المحبة التي بلغت ذروتها في الشوق الصوفي للقاء الخالق (سبحانه وتعالى).

بلغت قوة الوجد الصوفي في ذات الشبلي مداها في الفهم التوحيد إلى الحد الذي بدأ يتحدث عنه بلغة الإشارات الصوفية التي يكتنفها الغموض المتضمن لأسرار معرفته بقوله ((من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد، ومن أشار اليه فهو ثنوي، ومن أومأ اليه فهو عابد وثن، ومن نطق به فهو غافل، ومن سكت عنه فهو جاهل، ومن وهم انه وصل فليس له حاصل، ومن رأى انه قريب فهو بعيد، ومن توجد فهو ناقد، وكل ما ميزتموه بأوهامكم، وأدركتموه بعقولهم في أتم معانيكم فهو مصروف مردود إليكم محدث مصنوع مثلكم))[3]. ويريد الشبلي بهذا، وصول الصوفي إلى حال وحدة الشهود والتي تعني ان ما يتصوره الإنسان هو وهم دينوي بإبعاده الحسية، والحقيقة التوحيدية تكمن في معرفة الطريق إلى الله تبارك وتعالى) بمغادرة هذا الوجود الحسي، إذ يؤدي ذلك إلى النقاء الذاتي للإنسان في فهمه لقدرة (الله تعالى) وما يترتب عليها من الحب المطلق، وفي هذا يقول الشبلي

(1) السراج الطوسي: اللمع، ص 169.
(2) الاصبهاني: حلية، 370/10.
(3) القشيري: الرسالة، 184/1.

((سبحان من كان ولا مكان، ولا زمان، ولا أوان، ولا دهر، ولا ابد، ولا أزل، ولا أول، ولا آخر، وهو في حال احدث الأشياء غير مشغول عنهم، ولا مستعين بهم، عدل في جميع ما حكم عليهم)) [1]. ويظهر من ذلك، بدايات نزوع الشبلي الذاتي إلى الفناء في حب (الله تعالى)، فانتقل إلى مرحلة صوفية جديدة قوامها الوجد والتسامي وغياب الشعور الحسي الدنيوي أحيانا، قال الجنيد البغدادي ((الشبلي سكران ولو فاق من سكره لجاء منه علم ينتفع به))[2].

(1) السراج الطوسي: اللمع، ص169.
(2) الاصبهاني: حلية، 371/10.

المحور الرابع: حقيقة شطحات الشبلي

تعد شطحات الشبلي إشكالية الصوفية، لعل السبب في ذلك يكمن بطبيعة فهم دلالاتها، فالشطحات تعني في صورتها الميل عن التوحيد وأحكام الشريعة الإسلامية. وفي الحقيقة، فان الشبلي لم يكن ضمن هذه الصورة، إذ لاحظنا مقدار حرصه على التوحيد، وتطبيق أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية في حياته، وفي ضوء ذلك، يمكن فهم شطحات الشبلي انها ألفاظ كان يتلفظ بها وهو في حالة وجد صوفي منقطع عن العالم الحسي ومنتمياً إلى عالم الإشراق الروحي والفيض القائم على الشوق في محبة (الله تبارك وتعالى) إلى الحد الذي فقد القدرة على تحديد معنى الألفاظ التي كانت تعد من شطحاته، ومنها ما أورده احد أصحابه بقوله ((دخلت على الشبلي في سنة القحط، فسلمت عليه، فلما قمت فما قمت لأخرج من عنده، كان يقول لي ولمن معي، إلى ان خرجنا من الدار: مروا أنا معكم ما كنتم، انتم في عايتي وكلاءتي))[1].

ويظهر من الألفاظ التي قالها الشبلي مدى اختلاف المعنى، إذ اتخذ من ذاته عارفة وراعية ومقدرة لحياة العباد، ولما كان الشبلي في حالة وجد صوفي فانه لا يعني تلك الكلمات، إنما كان يقصد، اذهبوا فان (الله تعالى) معكم حيثما كنتم، وهو يرعاكم ويكلؤكم في رعايته وكلاءته.

ومن شطحاته ما روي عنه ((انه اخذ من يد إنسان كسرة خبز فأكلها، ثم قال: ان نفسي هذه تطلب مني كسرة خبز، ولو التفت سري إلى العرش والكرسي لاحترق))[2]. وهو يقصد بذلك، الالتفاف بسره إلى العرش والكرسي ان يجد له في سره اثر في الوحدانية والقدم، لان العرش والكرسي مخلوقان.

---

(1) السراج الطوسي: اللمع، ص170 ؛ ينظر، عبد الرحمن بدوي: شطحات الصوفية، الكويت، 1976، ص32.

(2) الاصبهاني: حلية، 370/10.

ووصلت شطحات الشبلي إلى تفصيلات أثارت مديات خطيرة في صورتها الظاهرة، ومنها ((وقف رجل على الشبلي فسأله عن صورة جبريل (عليه السلام)، فقال الشبلي: سمعت في الرواية ان لجبريل سبعمائة لغة وسبعمائة جناح، ومنها جناحان، إذا نشر واحد غطى به المشرق، وإذا نشر الآخر غطى به المغرب، فأين تسأل عن ملك تغيب الدنيا بين جناحيه رآه على صورته قد سد الأفق، ثم قال: ايها السائل، هذه علوم أظهرها، فهل تحملها الأجساد، أو تطيقها البنية، أو تحويها العقول، أو تحددها الأبصار، أو تخرق في الأسماع؟ يدل بها منه، وعليه اليه، استأثر الحق بملك هو له غيب لا يسمع سواه، لو كشفت منه ذرة ما وقف على الأرض ديار، ولا حملت الأشجار، ولا جرت البحار، ولا اظلم ليل، ولا أشرق نهار، ولكنه حكيم عليم، انهم لا يطيقون هذا. ثم قال: ايها السائل انك سألتني عن جبريل وأحواله، فأمر الله تعالى الأرض ان تبتلعي ان كان في فضل، منذ شهر ولا شهرين لذكر جبريل وميكائيل، فإذا كان كلاما يحتاج ان يكون له مثل هذه المقدمات التي ذكرناها، حتى يتبين معناه فيقصد المتعنت إلى آخر الكلام منها، وينقلها إلى كمن لا يفهم ذلك حتى يبسط لسانه بالوقيعة والطعن في أولياء الله وأهل خاصته، فيكون ذلك من اكبر الكبائر وأعظم الآثام))[1].

وفي ضوء استقراء المفاهيم في كلام الشبلي في أعلاه تتضح عالم فكرة الفناء الروحي، إذ خرج من أحكام وجوده الحسي إلى تصوره لمعنى وجوده الروحي فأصبحت ذاته رقيقة في إيمانها وتصورتها، وقد عبر الشبلي عن ذلك بقوله ((يا قوم أمر إلى ما وراء فلا أرى إلا وراء، وأمر يمينا وشمالا إلى ما وراء، ثم ارجع فأرى هذا كله في شعرة من خنصري، فأشكل على جماعة من أصحابه إشارته فيما قال))[2]. وعقب السراج الطوسي على ذلك بالقول ((إشارته فيما قال إلى الكون، لان الكرسي والعرش محدث، وليس في الدنيا ورائه وراء، ولا تحته لا نهاية له، ولا يقدر احد من الخلق ان يجده أو يصفه الا بما وصفه الله تعالى به، ولا يحيط بذلك علم الخلق قد انفراد بعلم ذلك خالقه وصانعه، ثم قال (أي الشبلي):

(1) السراج الطوسي: اللمع، ص171.

(2) الاصبهاني: حلية، 372/10.

ارجع فأرى هذا كله في شعرة من خنصري، يريد ذلك: ان قدرة القادر في خلق هذا كله وفي خلق شعرة في خنصري واحد))[1].

ومن خلال مقارنة قول الشبلي وتوضيح السراج الطوسي له، ان تصور الشبلي في أبعاده الصوفية، ان الكون وجميع ما خلق، وان كانت مسافته بعيدة، وطوله وعرضه عظيماً في كبرياء خالقه، وعظمة صانعه كشعرة في خنصر أو اقل من ذلك.

وقال الشبلي للجنيد ((يا أبا القاسم ماذا تقول فيمن كان الله حسبه قولا وحقيقة، فقال له الجنيد: يا أبا بكر، بينك وبين أكابر الناس في سؤالك هذا عشرة مقامات، أولها محو ما بدأت به))[2]. ومعنى ذلك ان الجنيد كان متشرفا على حاله بفضل علمه وتمكينه، فأراه موضع ما يُخشى عليه من الدعوى فيما يقول، لان من كان (الله تعالى) حسبه قولا وحقيقة يستغني عن السؤال.

ان الوجد الصوفي الذي عاشه الشبلي يمثل انطلاقة روحية عارمة، فهو يمتلك من العقل أفاقه، ومن الفكر منطقه الصوفي، ومن الكلام إيجازه، ففي وجده تحضر شدة العقل في إطار المحبة العظمى (الله تعالى)، فقد ((مات للشبلي ابن كان اسمه غالباً، فجّزت أمه شعرها عليه، وكان للشبلي لحية كبيرة، فحلقها، فقيل له: ما حملك على هذا؟ فقال: جزت هذه شعرها على مفقود، فكيف لا احلق لحيتي أنا على موجود))[3]. بهذه الرؤية كان الشبلي يرى جدوى الوجود الإنساني في الحياة الدنيا، هذه الحياة التي لا تتجاوز كونها ممرا قصيرا إلى الدار الآخرة التي هي المستقر النهائي لتحقيق معنى الوجود الإنساني في إطار جدلية الخلق، إذ تعود البشرية جمعاء إلى خالقها (تبارك وتعالى).

---

(1) السراج الطوسي: اللمع، ص171– 172.

(2) ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن العماد (ت:1089هـ– 1678م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، (د: ت)، 421/2.

(3) الاصبهاني: حلية، 172/10.

الخاتمـــــة

يتضح من خلال استقراء أصول تصوف أبو بكر الشبلي ما يأتي:

أولا: ارتكزت التجربة الصوفية عند الشبلي على فهم وإدراك كاملين لأبعاد الشريعة الإسلامية السمحاء، وظهر ذلك من خلال حرصه المبكر على اكتساب علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والفقه وأحكامه، وآداب اللغة العربية، وشكلت هذه الأبعاد المعرفية أساسا حيوية لشروعه في عالم التصوف. ولا بد من الإشارة إلى مكانة بغداد عاصمة الدولة الإسلامية في أثرها على ظهور التصوف الإسلامي، إذ توفرت فيها الأجواء الثقافية والفكرية والدينية والتي أدت دوراً واضحاً في تكوين الظاهرة الصوفية، وفي هذه الأجواء برز الشبلي بصوفيته الرصينة والمؤثرة في مختلف أوساط الشرائح الاجتماعية وفي مقدمتها النخبة الفكرية والدينية.

ثانياً: تشكلت أبعاد التصوف في منظور الشبلي من عدة مراحل، فالتوبة تعد مرتكزاً حيوياً في تنقية الذات استعداد لاستيعاب مفهوم التصوف، لان التوبة لا تعني ترك الذنوب فحسب، فالتوبة الصادقة (لله تعالى) تكمن بعدم مجرد التفكير فيها، ومن هنا، ارتبطت التوبة بذكر (الله تبارك وتعالى) بوصفه الطريق الأمثل للوصول إلى نقاء الذات من العوالق الدنيوية التي تتكثف في النفس مما يؤدي إلى تكوين حاجز قوامه نزوع النفس إلى الدنيا الفانية، فالذكر في هذا المجال يزيل تلك الصورة الدنيوية بغية انطلاق الروح إلى آفاق إيمانية. ويتحقق ذلك بالزهد الذي يعد من أهم عناصر التصوف لا بل جوهره، لان الزهد بمعناه الصوفي الصفاء (لله تعالى) وما عدا ذلك يسمى انتماء دنيويا، وتبعا لذلك، تشكل المحبة (محبة الله تعالى) أسمى صورة في منظور الشبلي لرسالة العبد في تقربه لربه (تبارك وتعالى)، وعندها تظهر الفيوضات الربانية المباركة التي تعطي للذات الإنسانية جوهرها الحقيقي.

ثالثاً: ظهر من خلال البحث ان التوحيد المطلق (لله تعالى) كان من أهم العناصر الفكرية في تصوف الشبلي، ونبع ذلك من القاعدة الرصينة التي ارتكز عليها في

فهمه لأبعاد الشريعة الإسلامية في جوانبها العبادية والشرعية، ولذلك حرص الشبلي وبشكل مستمر على حضور أحدية (الله تعالى) في خضم سموه الروحي عبر مراحل تصوفه، فالخالق (تبارك وتعالى) لا تدركه الإبصار، ولكن البصائر تتذوق حلاوة الإيمان بوحدانيته، هذه الوحدانية المقدسة كانت منبعاً نقياً في قلب الشبلي في مجاهدته الصوفية.

رابعاً: وصل الشبلي في تصوفه إلى مرحلة الفيض الروحي، فظهرت جدلية ذاته الإنسانية واضحة المعالم في بعض شطحاته الصوفية والتي لم يقصدها في حالات وجده الصوفي، لأنه كان ينطق الكلمات التي تشير في معانيها إلى ما لا يتفق مع المفهوم العام لها، ولكن ذاته كانت تقصد منتهى المحبة والشوق (لله تعالى).

وعلى الرغم من ذلك، لاحظنا الشبلي وهو يغادر الحياة الدنيا وهو حريص على تطبيق أدق التفاصيل في السنة النبوية الشريفة عندما طلب ممن حضر ساعة وفاته ان يخلل الماء في لحيته، واعتقد ان ذلك كفيلا بحملنا على الحكم بان جوهر ذات الشبلي الصوفية في كل مراحلها لم تغادر أحكام الشريعة الإسلامية، مما جعل تصوفه موضع قبول من عرفه عن قرب، أو كتب عنه بوصفه احد أقطاب التصوف الإسلامي.

ومن الله تعالى التوفيق..

1430هـ/2009م

Abu Bakir Al-Shibli: A Study in His Sofistic School

Asst. Prof. Dr. Khalil I. Jasim*

Asst. Prof. Dr. Mufaq S. Nori**

Abstract

Abu Bakir Al-Shibli is regarded as one of the pioneers in Islamic sofism. To know his so fistic elements, the research includes his biography and sofistic understanding of the Quran and Al-Suna. The research also deals with the elements of sofism in Al-Shibli's point of view in the light of devoting one's self to Allah, the Almighty. In addition to his sofistic concept of Monotheism which opened a wide aspects of faith. Finally, the research sheds light on Al-Shibli's isolation during his sofistic practices.

* Dept. of History, College of Teachers, University of Mosul.
** Dept. of History, College of Arts, University of Mosul.